

تَطَوُّر "إرسالية السودان الرائدة" إلى إرسالية بين نوبيي النيل

1966-1900

بقلم جيرالد لوخ Gerald Lauche

تأسست "إرسالية السودان الرائدة" (SPM) Sudan Pioneer Mission في أسوان عام 1900، وتم تغيير اسمها إلى "الإرسالية الإنجيلية بين أبناء الأغلبية" Evangelical Mohammedan Mission عام 1928، وإلى "الإرسالية الإنجيلية في مصر العليا" Evangelical Fellowship Mission in Upper Egypt عام 1953، وإلى "رابطة الإنجيل في الشرق الأوسط" Mission on the Nile International (MNI) عام 1990. وجدير بالذكر أن "إرسالية النيل الدولية" (MNI) التي مقرها في سويسرا، المعروفة سابقاً باسم "الإرسالية الإنجيلية السويسرية بين أبناء الأغلبية" Swiss Evangelical Mohammedan Mission، ولاحقاً باسم "إرسالية أرض النيل الإنجيلية السويسرية" Swiss Evangelical Nile-Land Mission يرجع أصلها أيضاً إلى "إرسالية السودان الرائدة". وفي هذا المقال سأستخدم الاسم الأصلي، "إرسالية السودان الرائدة" SPM حيث إنني سأصف في الأساس أول سبعة عقود من تاريخها.



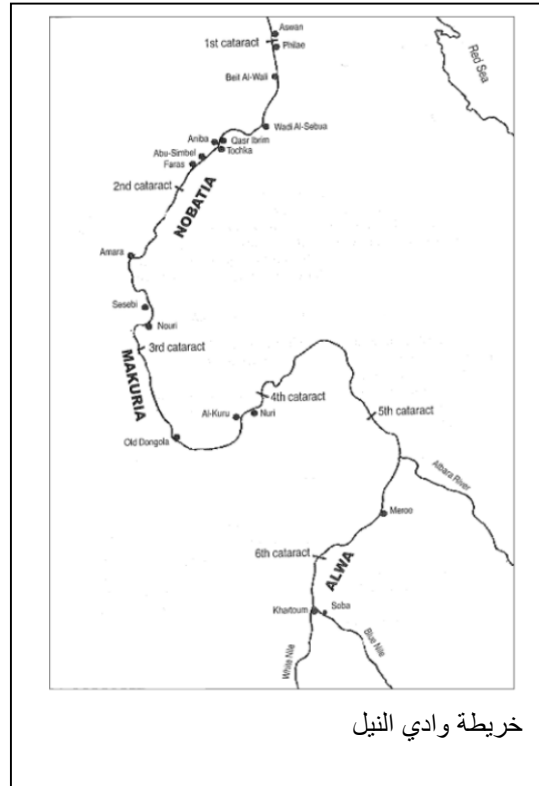
الواجهة الأمامية لمجمع SPM القديم والجديد

معلومات عامة عن نوبيي النيل

نوبيو النيل المُشار إليهم هنا هم الذين شغلوا وادي النيل بين أسوان في جنوب مصر والمنطقة الواقعة جنوب الخرطوم في شمال السودان منذ القرن الرابع الميلادي. ويعيش نوبيو النيل اليوم بين أسوان في مصر عند الجندل الأول والضبعة في السودان بين الجندلين الثالث والرابع. وهذا التمييز ضروري لتجنب الخلط بينهم وبين الجماعات العرقية التي تعيش في جبال النوبة، وأوغندا، وكينيا ويُطلق عليهم أيضًا "نوبيون".

وينقسم نوبيو النيل أساسًا إلى مجموعتين رئيسيتين يجب التمييز بينهما لغويًا. ففي مصر هناك النوبيون الناطقون بلغة الفاديجا Fadicca، والنوبيون الناطقون بلغة الكنوزي Kunuuzi. وعندما نتحدث عمومًا عن النوبيين في إطار التطور التاريخي لـ"إرسالية السودان الرائدة"، فنقصد دائمًا النوبيين الناطقين بلغة الكنوزي لأنهم كانوا مَحَطَّ اهتمام الإرسالية، واستوطنوا في أسوان والمنطقة الواقعة إلى الجنوب منها.

وقبل مجيء النوبيين إلى وادي النيل، كان الكوشيون يتبعون ديانة المروي Meroitic. وفي القرن الرابع الميلادي هاجر النوبيون إلى وادي النيل واختلطوا بالكوشيين الذين كانوا انهزموا على يد مملكة أكسوم Axumite Kingdom. وفي منتصف القرن الخامس الميلادي وُجِدَتْ ثلاث ممالك نوبية في وادي النيل. وفي القرن السادس الميلادي اعتنقت هذه



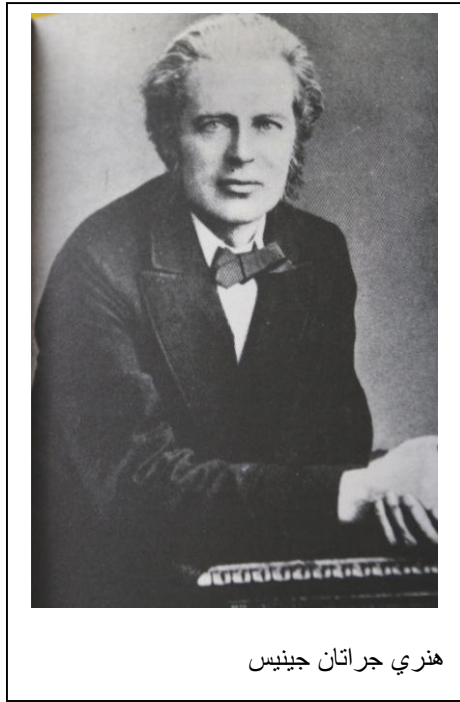
خريطة وادي النيل

الممالك المسيحية تباعاً، وظلت مسيحية حتى دخول الإسلام في القرن الرابع عشر.¹ والنوبيون اليوم مسلمون سُنيون ومتأثرون جداً بالإسلام الصوفي.

طلّاع "إرسالية السودان الرائدة"

قبل تأسيس "إرسالية السودان الرائدة" عام 1900 حدثت عدة تطورات غير مسبقة وعدة اتصالات بين ثلاثة أشخاص مُكرّسين للإرساليات، ويتميزون بتفكيرهم الاستراتيجي. ما أسفر عن الكثير من الآثار الإيجابية.

وكان أولهم هنري جراتان جينيس Henry Grattan Guinness (1835-1910) الذي كان لديه رؤية عظيمة لبلاد السودان. وكان جينيس الأيرلندي الأصل مبشراً متجولاً في أوروبا وأمريكا الشمالية. وتأثّر روحياً بحركة القداسة في إنجلترا. ونتيجةً لتشجيع هُدسون تيلور Hudson Taylor، أسّس جينيس وزوجته فاني Fanny "معهد شرق لندن التدريبي" East London Training Institute (ELTI) عام 1873. وكان عبارة عن مدرسة للكتاب المقدس، دولية ومتعددة الطوائف،



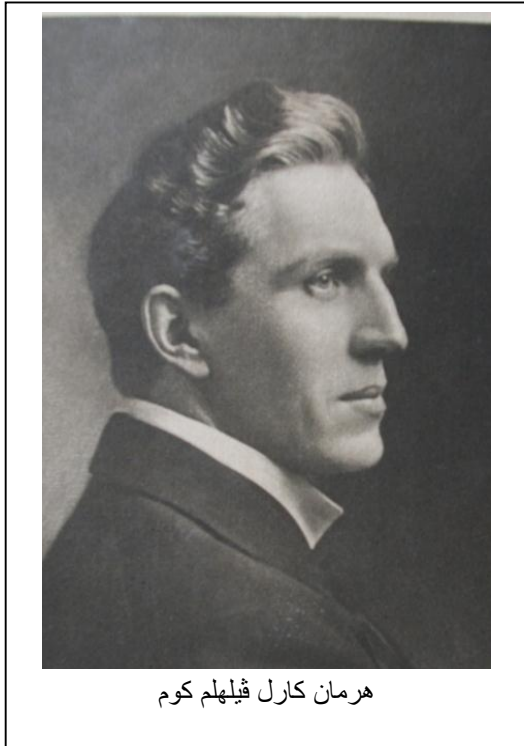
هنري جراتان جينيس

مهتمة بتدريب المسيحيين المُكرّسين من أوروبا وأفريقيا من مُختلف طبقات المجتمع على الخدمة المُرسليّة. ولم يمض وقت طويل حتى أصبح الوصول إلى الجماعات العرقية التي تسكن بلاد السودان على رأس أولوياته، حيث إن الإنجيل لم يكن وصل إليها آنذاك. وفي هذه الآونة كان تعبير بلاد السودان يُطلق على الإقليم الجغرافي المعروف باسم جنوب الصحراء من السنغال غرباً إلى إثيوبيا شرقاً. وشارك جينيس في إطلاق عدة مبادرات مُرسليّة استهدفت الوصول إلى بلاد السودان، وإن كان فشل بعضها. لكن في سبتمبر/ أيلول 1898 بعد إخماد الثورة المهديّة في السودان

¹ Roland Werner, *Das Christentum in Nubien. Geschichte und Gestalt einer afrikanischen Kirche* (Berlin: LIT Verlag, 2013), 39-45, 50-65, 136-177.

الذي كان تحت الحكم الإنجليزي المصري آنذاك، بدا الطريق مفتوحًا لإرسالية في السودان، بواسطة نهر النيل بوصفه مَعْبَرًا للوصول. كان جينيس رجلًا جذابًا مؤثرًا، ورائدًا ذا رؤية يُطلق مبادرات جديدة ويدعمها، ثم يُفوض المسؤوليات لآخرين إلى أن ينسحب منها كُليَّةً.²

ثم يأتي هرمان كارل فيلهلم كوم Herman Karl Wilhelm Kumm (1874-1938) باعتباره ثاني الشخصيات المهمة، وكان صاحب رؤية للجماعات التي لم يصلها الإنجيل. نشأ كوم في أوستيرودا Osterode بألمانيا في جبال هارتس Harz Mountains. ولمَّا كان قد نشأ في التقليد اللوثري، اختبر الولادة الثانية عام 1894 وشعر بالدعوة للخدمة المرسلية عام 1895. وبعد عام بدأ دراسته المرسلية في "معهد شرق لندن التدريبي" الذي أسسه جينيس وأداره. وعام 1898 انضم كوم لفريق العمل في "إرسالية شمال أفريقيا" North Africa Mission. وإذ استقر في الإسكندرية، سرعان ما اكتشف ولَّعه بالبدو القاطنين في واحات الصحراء الليبية. وعام 1899 عندما احتاج جينيس لرفيق في رحلاته جنوبيًا، رأى أن كوم شخص مناسب لهذا الغرض، نظرًا لمعرفته الممتازة بالسياق المحلي.



هرمان كارل فيلهلم كوم

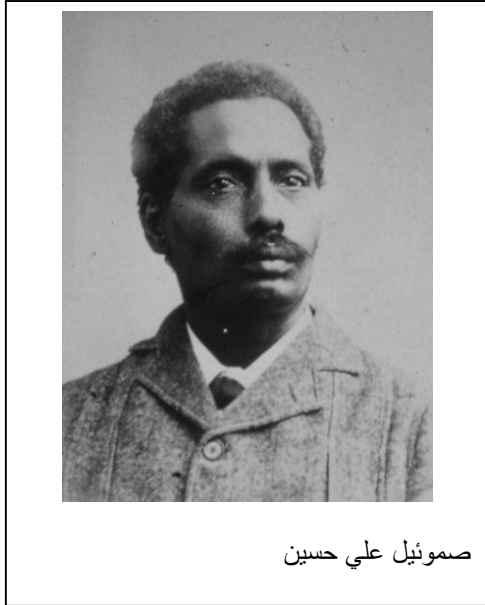
ويُفترض أن رؤية كوم لبلاد السودان نَمَتْ في تلك الأثناء، في ظل توجيهات جينيس وتحت تأثيره. وفي هذه الرحلة، كانت لوسي Lucy ابنة جينيس ترافقه، وأحبت كوم وأحبها ثم تَمَّت خِطبتهما يوم

²تقارن

Klaus Fiedler, *Ganz auf Vertrauen. Geschichte und Kirchenverständnis der Glaubensmissionen* (Gießen, Basel: Brunnen Verlag, 1992), 70-77. Christof Sauer, *Reaching the Unreached Sudan Belt: Guinness, Kumm and the Sudan-Pioneer-Mission* (Nürnberg: Verlag für Theologie und Religionswissenschaft, 2005), 43-81. Gerald Lauche, *The Development of the "Sudan Pioneer Mission" into a Mission among the Nile-Nubians (1900-1966)*, unpublished D.Th. dissertation (UNISA, 2015), 117-118.

11 يناير/ كانون الثاني 1900 في أسوان. وفي ذلك الوقت ترك كوم "إرسالية شمال أفريقيا" وأسس "إرسالية السودان الرائدة" مع جينيس. ووقع الاختيار على أسوان لتكون نقطة البداية للإرسالية المؤسسة حديثاً، بهدف الانطلاق منها إلى بلاد السودان.³

أما ثالث شخص محوري في تاريخ الإرسالية هو النوبي الكَنوزي صموئيل علي حسين (1863-1972). وُلِدَ صموئيل في شمال النوبة عام 1863، وأتى إلى أوروبا عام 1873 بعد أن دعاه المبشر



صموئيل علي حسين

فرانسوا هنري لافانشي-كلارك François-Henri Lavanchy-Clarke ليرافقه إلى سويسرا عندما وجد الصبي يعيش في شوارع القاهرة. ورجل الصناعة المسيحي تيودور نِكر Theodor Necker من جنيف هو من بادر بهذا المشروع وموَّله. وتلقَّى الصبي النوبي ذو الأعوام العشرة تعليمه في مدرسة داخلية معروفة في پيزو Peseux في نوشاتل Neuchatel، وقرر أن يتبع المسيح أثناء دراسته. وفي 15 أغسطس/ آب 1875 اعتمد في الكنيسة الإنجيلية الحرة Église

évangelique libre des Granges de Sante-Croix (canton of Waadt) على يد القس أوتو ستوكماير Otto Stockmeyer. وإذ كان اسمه بالمولد محمد علي حسين، اتخذ اسم صموئيل في المعمودية واختبر أثناء المعمودية دعوته للتفرغ للخدمة الكرازية. وعام 1879، أرسله نِكر إلى "معهد شرق لندن التدريبي" الذي أسسه جينيس. وكان للسنوات التي قضاها صموئيل في المعهد أثراً عميقاً في نفسه. ففي هذه الأثناء، كتب جينيس مقالاً عن طفولة صموئيل ومراهقته، ولكن للأسف فُقدت. وعام 1880 بدأ صموئيل دراسات تمهيدية في بيروت استعداداً لدراسة الطب. ولكن بعد موت راعيه نِكر فجأة، لم يعد لديه مصدر تمويل. وأخيراً، بعد أن قضى وقتاً في إنجلترا وسويسرا عاد إلى القاهرة عام 1884. وهناك عمل صموئيل بالتدريس في مدرسة پروتستانتية أولاً، ثم في مدرسة

³المرجع السابق، 120-121.

Sauer, *Unreached Sudan Belt*, 134-146. 181-198.

كاثوليكية. إلا أن الوظيفتين كانتا مُحِيطَتين له. وبعد وقت قصير، أقنعه أقاربه بالعودة إلى مدينته فيجيكول، في أبي حور بشمال النوبة، حيث كان المسيحي الوحيد هناك لمدة ثلاث عشرة عامًا. وكان لا بد أن يمر بعملية إعادة تأهيل اجتماعي ثقافيًا ولغويًا، نظرًا لاغترابه عن أهله النوبيين أثناء السنوات التي قضاها في الخارج. وبعد فترة أولية من الملاحظة والانتظار، بدأ تدريجيًا يشهد عن المسيح بجرأة، وهو ما كاد أن يكلفه حياته. فنجا بأعجوبة من هجوم بسكين، وما أدهش كل الحاضرين في اجتماع عام بالقرية أنه غَفَرَ للجاني وعرض عليه المصالحة. وأثناء سنوات الشهادة الهادئة، نضج صموئيل كثيرًا واكتسب مزيدًا من الثقة فيما يتعلق بالشهادة للمسيح. ولمَّا كان مترجمًا لأحد الضباط الإنجليز، ففي عام 1898 شارك في إخماد الثورة المهديّة على يد الجيش المصري الإنجليزي. وبعد هذا النزاع، عمل في مكتب البريد المصري بأسوان وقرية شلال حيث كانت ترسو المراكب التي تسافر بين مصر والسودان الخاضع للحكم الإنجليزي المصري.⁴

تأسيس "إرسالية السودان الرائدة"

عام 1900 عاد جينيس وابنته لوسي وكارل كوم إلى أسوان لتكوين خدمة تستهدف بلاد السودان حسب الخطة الموضوعية. وكهدية بمناسبة الخطبة، سلّم جينيس مسؤولية "إرسالية السودان الرائدة" المؤسسة حديثًا لكارل ولوسي. واستعان جينيس وكوم بزوجين قبطين للتدريس في مدرسة ابتدائية صغيرة وإدارتها، وكانت مَعْنِيَّة في الأساس بتعليم أطفال النوبة والبيجا Beja. وبينما كان جينيس يبحث عن شخص نوبي يساعدهم في الخدمة، سمع عن صموئيل وعرف أنه يعمل في مكتب البريد. فذهب ليقابله واقتنع فورًا أن صموئيل هو بالضبط الشخص المطلوب للخدمة. فنُضِجَه الروحي، وتعليمه الغربي، ومعرفته بعدة لغات كانت بالضبط ما تحتاجه الإرسالية. وجاء رد صموئيل بالإيجاب ودون تردد، مُعْتَبِرًا هذا الطلب فرصة لتحقيق دعوة حياته. وعندما انضم صموئيل للخدمة، كانت الإرسالية مستعدة لبدء عملها بين النوبيين. وكانت أول خطوة للإرسالية أن تصل إلى النوبيين والبيجا في المنطقة

⁴ Lauche, *Sudan Pionier Mission*, 163-198. Cf. Samuel Ali Hussein, *Aus meinem Leben* (Wiesbaden: Verlag der Sudan-Pionier-Mission, 1920).

المحيطة بأسوان. وكانت تُحطَّط للعمل بعدئذٍ في الجنوب وكردفان ودارفور. وكانت الخطوة الأخيرة هي التقدم في إقليم بلاد السودان كله.

وقامت الإرسالية بالأنشطة التالية، على الأقل في البداية:

1- بيع الكتاب المقدس.

2- التعليم الابتدائي.

3- الكرازة.

4- الترجمة.

5- العمل الطبي.

وفي أكتوبر/ تشرين الأول 1900 تأسست "إرسالية السودان الرائدة" في ألمانيا وتم إشهارها جمعيةً في أيزناخ Eisenach. وفتح القس يوليوس دامن Julius Dammann بيته في أيزناخ للإرسالية باعتباره أول مقر لها، وأصبح القس تيودور زيمندورف Theodor Ziemendorff من فيسبادن Wiesbaden أول رئيس لها.⁵

أهمية صموئيل للإرسالية النوبية

إنَّ تغيير اتجاه "إرسالية السودان الرائدة" إلى إرسالية بين النوبيين يرجع في الأساس إلى صموئيل. فتحليل السنوات التي أدت إلى تأسيس الإرسالية يُبين أن صموئيل كان مُعدًّا للخدمة على نحو استثنائي. ورأى كوم ما يتمتع به من إمكانات، وعيَّنه في موقع مسؤولية، وأرسله في رحلة استكشافية إلى دُنقلا عام 1900 باعتباره أول مهمة كبيرة يُكَلَّف بها. وكانت مهامه الأساسية أثناء هذه الرحلة توزيع مواد كتابية، والترجمة، وجمع معلومات جيوسياسية. وبعد أداء هذه الخدمات، عمل صموئيل دون انقطاع كارزًا، ومساعدًا طبيًا، ومديرًا لمكتبة بيع الكتب التابعة للإرسالية، ومدرس لغة

⁵المرجع السابق، 120، 121.

Sauer, *Unreached Sudan Belt*, 134–146. 181

عربية ولغة نوبية للمرسلين الجدد القادمين من سويسرا وألمانيا. ومن 1915 إلى 1924، سنوات الحرب العالمية الأولى وما تلاها، كان يدير أيضًا أملاك الإرسالية، وهو ما فعّله بأمانة.

إلا أن أكبر إسهامات صموئيل كان عمله اللغوي. فأنتج موادًا لتعليم القراءة وأنتج نصوصًا إثنوجرافية وكتابية بمساعدة الباحثين الألمان ه. شيفر H. Schäfer، ه. يونكر H. Junker، د. وسترمان D. Westermann، س. ماينهوف C. Meinhof. وترجمَ الأناجيل الأربعة إلى لغة الكَنوزي تحت إشراف ه. شيفر و ه. يونكر، وطُبعتِ الترجمة عام 1912 الدارُ البريطانية والعالمية للكتاب المقدس (British and Foreign Bible Society (BFBS) في برلين. وترجم أيضًا بعض نصوص العهد القديم وتقريبًا سائر أسفار العهد الجديد المتبقية كافة، ولكنها لم تُنشر أبدًا.

ومنذ عام 1900 حتى وفاته يوم 8 مارس/ آذار 1927 عمل بأمانة في الإرسالية وأثبت ولاءه التام لها. ورغم أنه غالبًا ما كان يُشار له في منشورات الإرسالية بصفته مجرد مساعد، فكان في الحقيقة العمود الأساسي في خدمة الهيئة بين النوبيين.⁶ ومن منظور استراتيجي، كانت دعوة صموئيل للخدمة الكرازية القرار الأكثر تأثيرًا من بين ما اتخذته المؤسسون من قرارات. فكان مُعدًا إعدادًا فريدًا لتعزيز الرؤية والقيام بدور محوري في تنمية الإرسالية أثناء عقودها الأولى. ولذا، لا عجب أن شاهد قبره يقول: "هنا يرقد صموئيل علي حسين، باكورة الراجعين إلى إيمان أجداده، والمبشر الأمين في الإرسالية الألمانية...".⁷

الأشخاص المؤثرون في الرؤية النوبية

ما يلفت النظر أنه على مدى العقود الستة الأولى التي يتناولها هذا المقال، كانت "إرسالية السودان الرائدة" دائمًا ما تحظى بمرسلين يجسدون الرؤية النوبية. وفيما يلي المرسلون الخمسة الأساسيون في هذه الفترة.

⁶ Lauche, *Sudan Pionier Mission*, 241-273. Cf. Samuel Ali Hussein, *Der Erstling aus Mohrenland. Samuel Ali Hussein: Aus meinem Leben* (Wiesbaden: Missionsverlag Wiesbaden, 1932).

صموئيل يعقوب إندرلين Samuel Jakob Enderlin (1878–1940): كان مُرسلاً ومُحاضرًا. وكان هو وزوجته إليزابيث Elisabeth الخادمين الوحيديين في الإرسالية اللذين لاحظا حياة صموئيل حسين علي عن كُتب من عام 1903 حتى وفاته عام 1927. فعلم صموئيل حسن علي لغة الكَنوزي النوبية لإندرلين، وبعد عدة رحلات استكشافية جنوبًا، افتتح إندرلين أول قاعدة نوبية للإرسالية في قوشتامني Koshtamne على بُعد حوالي 90 كم جنوب أسوان، عام 1926. وفي عام 1932، عيّنت "مدرسة الدراسات الشرقية بالقاهرة" School of Oriental Studies إندرلين مُحاضرًا للغة العربية واللهجات النوبية، وتاريخ النوبة. وفي الوقت نفسه بدأ خدمة مع النوبيين بعقد اجتماعات منتظمة لهم في النادي الألماني النوبي بالعاصمة. وساعده في هذا مرسلون أصغر تابعون للإرسالية. ولكن للأسف، اضطر لترك هذه الخدمة عند اندلاع الحرب العالمية الثانية في سبتمبر/ أيلول 1939 ولم يُستأنف العمل بعد الحرب. إلا أن الخدمة جنوب أسوان في قرية داك، ثم في سحيل الغربية استمرت.⁸

كان ويلي جرسون فروليش Willy Gerson Fröhlich (1880–1957) طبيب عيون سويسريًا جاء إلى مصر عام 1906 لتأسيس العمل الطبي التابع للإرسالية في أسوان وداراو (على بعد 40 كم شمال أسوان). وعلاوة على ذلك، قام بقوافل طبية ذات توجه كرازي في القرى المجاورة. وأثناء زيارته كان صموئيل علي حسين يقوم بعمل المساعد الطبي والكارز. وعلم فروليش اللغة النوبية حتى يتمكن من التواصل مع مرضاه. وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى في يوليو/ تموز 1914، مُنع كل العاملين الألمان من الاستمرار في خدماتهم. إلا أن فروليش، نظرًا لكونه طبيبًا سويسريًا، سُمح له بالاستمرار حتى سبتمبر/ أيلول 1915، عندما أُجبر هو أيضًا على مغادرة مصر، مما أنهى خدمته مع الإرسالية.⁹ وجدير بالذكر أن المرسلين التابعين للإرسالية في أسوان وداراو وإدفو لم يقتصرُوا في خدمتهم على النوبيين فحسب. فالخدمات الطبية والتعليمية وكذلك المواد الكتابية والمنشورات المسيحية كانت تُقدّم للجميع بصرف النظر عن خلفيتهم الاجتماعية أو التعليمية أو الدينية أو العرقية.¹⁰

⁸ Lauche, *Sudan Pioneer Mission*, 323-332, 361.

⁹ المرجع السابق، 320، 361.

¹⁰ المرجع السابق، 368–371.

وكان لصموئيل علي حسين ابن يُدعى عباس (دانيال) صموئيل علي (1896-1918). ورغم أنه لم يكن بتاتاً عاملاً رسمياً في الإرسالية، فنمّا بداخله ولع روعي بمشاركة الإنجيل مع أهله، نوبيي الكَنوزي. وفي فبراير/ شباط 1910، اعتمد مع أخته مريم في كنيسة الإرسالية بأسوان، واتخذ اسم دانيال. وعام 1914، وكان سنّه حوالي ثمانية عشر عامًا، بدأ يدرس اللاهوت في كلية اللاهوت التابعة للإرسالية الأمريكية بالقاهرة. ونظرًا للغياب الاضطراري للعاملين بالإرسالية أثناء سنوات الحرب العالمية الأولى، أصبح صموئيل زويمر Samuel Zwemer المُحَفِّز الأول والأب الروحي له أثناء دراساته. وفي عام 1912 تلقى أول دعوة للعمل بين النوبيين في القاهرة من "الإرسالية العامة في مصر" Egypt General Mission. وفي عام 1915 نجح عباس في إطلاق عمل واعد بين النوبيين في العاصمة. وباستخدام الأناجيل النوبية التي ترجمها والده، جمع عباس حوله رجالاً نوبيين في مجموعات كان من الممكن أن يبلغ عدد المجموعة الواحدة 250 شخصًا، لإجراء مناقشات كتابية. ولكنه لسوء الحظ مات فجأة بمرض السلّ في مطلع عام 1918، مما قطع خدمة عامل مرتقّب في الإرسالية حتى قبل أن تبدأ.¹¹

انضمّت المُعلّمة جرتروود فون ماسنباك Gertrud von Massenback (1883-1975) لخدمة الإرسالية عام 1909، وتعلّمت لغة الكَنوزي النوبية أثناء عملها مع الإرسالية على يد صموئيل علي حسين. ونشّرت عدة مجموعات من الكتب، وكتيبًا في القواعد مع قاموس، ونُبْدًا كتابية. وبالإضافة إلى هذه الأنشطة، ركّزت على مشاركة الإنجيل في مركز الإرسالية بأسوان، وفي زيارتها العديدة للقرى التي عادةً ما كانت تتم في أصعب الظروف المناخية.¹²

وأخيرًا، كانت إليزابيث هرتسفلد Elisabeth Herzfeld (1890-1966) مُرسلة طبية في الإرسالية منذ 1926 حتى 1966، رغم نَعَطْل خدمتها عدة مرات، خاصةً أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها مباشرة.¹³ ونَعَتْها إمّا برونر تروت Emma Brunner Traut عند وفاتها عام 1966 قائلة: "ارتقّت إليزابيث هرتسفلد بكل الرغبة البشرية لتسمو بها إلى هذا التوق الوحيد؛ توق مشاركة الخبر السار

¹¹المرجع السابق، 229-230، 361، 362.

¹²المرجع السابق، 332-343، 362.

¹³المرجع السابق، 343-348، 362-363.

مع أحواتها في النوبة مرة أخرى. وإلى الأرض التي نَسِيَتْ اسم المسيح ... حَمَلَتْ القِصص الكتابية مرة أخرى بالكلمات والترانيم. لم تُعَلِّم ولم تجادل مجادلات لاهوتية، ولكنها تفاعلت مع مستمعيها بتواضع وحيوية على قدر فهمهم.¹⁴

بالإضافة إلى هذه الشخصيات المحورية في الإرسالية، كان هناك عدد من المساهمين الآخرين الذين يستحقون الذكر. فمجلس الإرسالية التنفيذي، والفريق النشط الدؤوب الذي عمل في مقر الإرسالية الرئيسي في فيسبادن بألمانيا دائماً ما دَعَمَ نمو العمل بين النوبيين. وكان من بينهم القس تيودور زيمندورف Theodor Ziemendorff الذي كان رئيس الإرسالية فترة طويلة، وكان يمثل أهمية خاصة للعمل. ويجب أن نخص بالذكر أيضاً فرع الإرسالية السويسري، والمنظمة التي خَلَفَتْه، "إرسالية أرض النيل الإنجيلية السويسرية" (حالياً "إرسالية النيل الدولية"). فتعاونَ السويسريون وقَدَمُوا الكثير من الدعم، خاصةً في سنوات الأزمة أثناء الحربين العالميتين وبعدهما. وكان يستحيل استمرار العمل لولا مساعدة هؤلاء الأصدقاء السويسريين.

فضلاً عن ذلك، "إرسالية السودان الرائدة" مدينة أيضاً لعدد من المُرسَلين الذين زودوا داعمي الإرسالية وعامة الجمهور بمعلومات عن عمل الإرسالية مستخدمين مجلات المنظمة المختلفة وموادها الإخبارية. بالإضافة إلى ذلك، أنتج صموئيل علي حسين بمساعدة زملائه الألمان وتشجيعهم سيرة ذاتية من جزأين. وأنتجت جرتروود فون ماسنباك، وإليزابيث هرتسفلد عدة كتيبات تركز على النوبة. وأخيراً حظيت الإرسالية بامتياز الحصول على دعم متخصص من علماء مصريين بارزين، وخبراء في اللغات والثقافات الأفريقية، ولغويين مثل هـ. شيفر، هـ. يونكر، د. وسترمَن، س. ماينهوف. وفي بعض الأحيان كان بعض هؤلاء الأكاديميين أعضاء في مجلس الإرسالية، وهكذا قدّموا نموذجاً مبهراً للمزج بين العلم والإرسالية.

¹⁴ Elisabeth Brunner-Traut, in *Elisabeth Herzfeld, Das Kreuz am Rande der Wüste* (Wiesbaden: Verlag der Evangelischen Mission in Oberägypten, 1966), 13-14. Translation from German to English by Andrew Craston.

أفكار ختامية

كانت "إرسالية السودان الرائدة" الإرسالية الوحيدة التي ركزت على الوصول إلى نوبيي الكنوزي. وحظي هذا الاهتمام بالقبول والاحترام من منظمات مرسلية مختلفة، بما فيها حتى "الإرسالية الأمريكية" American Mission التي كانت لها السيادة في مصر واعتبرت أن البلد كله **حقها**. إلا أن تنفيذ رؤية "إرسالية السودان الرائدة" لم يكن سهلاً.

فرغم وجود عدد من العوامل التي كان لها أثرًا سلبيًا على العمل بين النوبيين، فإثنان من هذه العوامل يبرزان بوجه خاص. أولهما أن الإرسالية لم تتمكن بتاتًا من الامتداد أبعد من قاعدتها بين النوبيين في أسوان وجنوبها وحولها. وقام العديد من العاملين مع الإرسالية بعدة رحلات استكشافية إلى النوبة السودانية أثناء العقود الستة الأولى للإرسالية، إلا أنهم لم يفلحوا في الامتداد إلى هذه المناطق، لأن الحكومة البريطانية منعتهم لأسباب سياسية. وثانيهما أنه رغم ما بُذل من جهود في التفاوض مع "الإرسالية الأمريكية"، لم تنجح المنظمتان المرسلتان بتاتًا في التوصل إلى اتفاق وديّ يسمح بمزيد من الفاعلية في العمل. وكانت النتيجة تقيّة الخدمة في أسوان وفي المناطق المحيطة، وقصر جهودها على العمل بين أهل الصعيد، والنوبة، والبيجا.

وفي السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية، نجح المرسلون العائدون في إعادة تأسيس الخدمة في النوبة القديمة. إلا أن الصبغة المؤسسية للخدمة في أسوان وداراو ازدادت على نحو ملحوظ، وأصبحت الرؤية الأصلية للتوسع في العمل بين النوبيين أمرًا ثانويًا من بعد عام 1966. إلا أنه في السبعينيات والثمانينيات عاد العمل بين النوبيين إلى الحياة مرة أخرى، في كلٍّ من شمال السودان ومصر العليا، مما جعل الكثيرين يتطلعون للمستقبل برجاء.¹⁵

ولا بد من الاعتراف بأن "إرسالية السودان الرائدة" لم تنجح حتى الآن في زرع كنائس بين المجموعات المستهدفة. إلا أن أسلوب حياة المرسلين الذي يتسم بالتواضع والأمانة والتضحية، ومثابرتهم

¹⁵ Lauche, *Sudan Pioneer Mission*, 363-367.

على مدى عقود في الخدمات الطبية والاجتماعية والتعليمية والكرزية أثمرا علاقات ثقة دائمة وعميقة في المجتمع المحلي. وتقود بدورها إلى ثمر فردي وجماعي، بنعمة الله وفي وقته.

د. جرالذ لوخ (حاصل على الدكتوراه من جامعة جنوب أفريقيا UNISA)

وُلدَ عام 1956 في مدينة جيسن Giessen الألمانية. ودرَسَ اللاهوت والإسلاميات واللغويات في أدلشوفن Adelshofen وجيسن وأبردين Aberdeen وپريتوريا Pretoria. ومنذ عام 1985 انضم إلى "خدمات الشرق الأوسط الإنجيلية" التي يقع مقرها في فيسبادن، ومنذ عام 1987 يخدم بصفته لاهوتياً في أسوان والقاهرة. وهو أيضاً مُحاضر غير متفرغ في علم اللاهوت المُرسلي في كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة.